المسيح

بين سفينة نوح ووفد نَجران

القبطان محمد زَعفان

بسم الله الرحمن الرحيم

من المبادئ الأساسية ومن عميق الإيمان عند اليهود والمسيحيين والمسلمين هو أن الله على كل شيء قدير وأن الله إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون.

فبعد أن خلق الله الأرض والسماوات التي رفعها وفيها مليارات النجوم ذات القلوب الماسية المتلألئة في مواقع تبعد ملايين السنين الضوئية كل سنة أكثر من التسعة تريليونات كيلو متر فقد قرر الله سبحانه وتعالى أن يخلق سيدنا آدم أول إنسان حيث خلقه الله من التراب، ولم يكن له والدة ولا والداً.

ومن المبادئ المتفق عليها أن الله الواحد الأحد أرسل رسله إلى الناس ليدعوهم إلى الإيمان بالله الواحد الأحد ومنهم رسول الله سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام المرسل من عند الله إلى قومه فلم يؤمن منهم بالله الواحد الأحد إلا عدد قليل ولما أراد الله أن يعذب الكفار ويغرقهم وأن يحفظ الله إيمان المؤمنين مع سيدنا نوح رسول الله فقد أمره الله بصناعة السفينة فوق الأرض الجافة حيث ركبها هو ومن آمن معه حيث أراد الله تعويم السفينة في معجزة كبرى متفق عليها تمام الاتفاق في اليهودية والمسيحية والإسلام حيث فتح الله أبواب

السماء لنزول مياه المطر العذب وفجر الله ينابيع الأرض وآبارها لتخرج هذه المياه المعدنية من باطن الأرض لترتفع سفينة سيدنا نوح ومن آمن بالله معه ارتفاع بآلاف الأمتار حتى تطفو فوق الجبال المحيطة والتي ارتفاعاتها بآلاف الأمتار، فلو ارتفعت المياه ارتفاعاً قدره ٢٠٠٠ متر فقط –وهي قد ارتفعت أكثر من ذلك بكثير– وحيث أن هذا التعويم كانت مساحته مساحة هائلة من الأرض ولكن سنأخذ مساحة محدودة كنموذج ولتكن جزءًا من أرض العراق مساحته مليون كيلو متر مربع وهي مساحة تساوي تريليون متر مربع

فتكون كمية مياه التعويم في هذه المساحة المحدودة وهذا الارتفاع المحدود ستكون ٢٠٠٠ تريليون متراً مكعباً فقط بينما هذه المياه ارتفعت أكثر من ذلك الارتفاع وانتشرت في قارة آسيا وفي الأرض أضعاف هذه المساحة الافتراضية- المليون كيلو متر مربع- ولا أريد الحديث عن هذه الأوزان الهائلة لآلاف تريليونات أطنان مياه الأمطار التي حملتها الأرض فوقها كما لا أريد الحديث عن أسعار هذه الآلاف من تريليونات أطنان المياه العذبة، والتي هي أيضاً في أقل تقدير بآلاف تريليونات الدولارات، ولا نريد الحديث عن كمية هذه

التريليونات التي هي أيضاً أضعاف أضعاف كمية مياه الأمطار السنوية التي تسقط فوق الكرة الأرضية وهي حوالي ٥٠٠ تريليون طن وهو ما يؤكد تحطيم النظرية العلمية لدورة بخار المحيطات وعلاقتها بسقوط الأمطار؛ ولكن أعظم ما يشد الانتباه هو إكرام الله الرفيع الدرجات الواحد الأحد في ضيافته لرسوله سيدنا نوح عليه السلام ومن آمن معه من قومه وما حمله معه من كل زوجين اثنين، حيث جعل الله سفينة نوح تطفو فوق مياه الأمطار العذبة النقية لتوفير أنقى أنواع مياه الشرب لرسوله سيدنا نوح عليه السلام ومن آمن

معه، وما حمله معه من كل زوجين اثنين من الحيوان، وقد أصبحت سفينة نوح التي هي بيت الضيافة فوق سطح الأرض على ارتفاع آلاف الأمتار من المياه العذبة شاهدة على إكرام الله الرفيع الدرجات للفئة المؤمنة بوحدانية الله الواحد الأحد مع رسوله المرسل سيدنا نوح، وهو الإكرام من الله الرزّاق ذي القوة المتين الذي يرزق من يشاء بغير حساب، وهذه المعجزة العظيمة التي أرادها الله الخالق سبحانه وتعالى هي برهان على أن الله على كل شيء قدير، وهكذا أمر الله عند حدوث

جميع المعجزات التي حدثت مع جميع رسل الله المرسلون على مر الزمان.

ذلك أن المعجزة تحدث بقوة الله القدير وتحدث بأمر الله وحده، أي أن رسل الله المرسلون لا يصنعون المعجزة ولكن الله وحده هو الذي يصنع المعجزة وهو وحده إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون.

وإن الله سبحانه وتعالى الذي يدبر الأمر في السماوات والأرض بإتقان هو خالق كل الأنفس والبشر ومنهم الثمانية مليارات إنسان المعاصرين، يجمعهم الله سبحانه وتعالى فرداً فرداً عند نومهم، ويقبض وعيهم وإدراكهم

وهم في النوم العميق، الذي ليس بينه وبين الموت النهائي إلا "التنفس" الذي يزوّد الإنسان النائم بالأكسجين لأجل استمرار حياة الجسد أثناء النوم رغم أنه لا يشعر بأي شيء حوله، فإذا استيقظ من النوم أعاد الله إليه وعيه وإدراكه مرة ثانية، وأما الذي أراد الله له الموتة الكبرى فإنه لا يعود إلى الحياة من نومه.

وهذه معجزة تحدث لنا جميعاً حيث ندخل في النوم ولا نشعر بما يدور حولنا، بينما يرعانا الله سبحانه وتعالى الذي هو على كل شيء قدير أثناء النوم في معجزة نلمسها جميعاً ونعايشها يومياً.

ولما أراد الله الواحد الأحد أن يضيف معجزة من معجزاته ليزداد المؤمنون إيماناً فقد اختار الله لهذه المعجزة السيدة مريم عليها الصلاة والسلام والتي هي خير نساء العالم إلى يوم القيامة، حيث أراد الله معجزة ميلاد سيدنا المسيح عيسى عليه الصلاة والسلام من أمه السيدة مريم ولكن من غير والد له، وهذه المعجزة هي امتحان مستمر من الله سبحانه وتعالى ينجح فيه الناجحون ويرسب فيه الراسبون، حيث لم يتردد هؤلاء الناس في سؤال السيدة مريم التي هي في خدمة بيت المقدس منذ طفولتها، والعابدة في محرابه والتي كان

يأتيها رزقها من عند الله، والتي هي بنت والدتها السيدة حنّة التي وهبت بنتها مريم خادمة لبيت الله، وهي بنت والدها سيدنا عمران، وهي التي رعاها من الطفولة سيدنا زكريا عليه السلام الذي هو والد سيدنا يحيى عليه السلام المولود هو أيضاً بمعجزة إلهية قبل ميلاد سيدنا المسيح عليه السلام بثلاثة أشهر، وكل هذه العائلة الطاهرة تؤكد وتشهد أن السيدة مريم هي خير نساء أهل الأرض، حيث سألوها السؤال الصعب وهو: من أين لك هذا المولود يا مريم؟ فكانت الإجابة عن هذا السؤال هي إجابة من الله في معجزة جديدة

حيث تكلم المولود سيدنا المسيح عيسى قائلاً إنه عبد الله وأن الله ربي وربكم فاعبدوه، وهكذا دافع الله دفاعاً عظيماً عن السيدة مريم بمعجزة كلام الطفل المولود سيدنا المسيح عيسى عليهم الصلاة والسلام.

واستمرت رحلة سيدنا المسيح عيسى حتى رفعه الله إليه في أعظم تكريم له، وفي معجزة جديدة أيضاً، ولقد اختفى كتاب الله الإنجيل الذي أنزله الله على سيدنا المسيح عيسى عليه الصلاة والسلام سواء تم إخفاؤه أو ظل بعيداً عن قوم سيدنا المسيح، وهي مصيبة حلّت بأهل المسيحية لأنه المستند الأصلي الذي أنزله الله.

وبعد ستة قرون أراد الله ظهور دين الأسلام فأرسل رسوله سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام يأكل الطعام ويمشي في الأسواق مثله مثل جميع رسل الله المرسلين حيث حاربه قومه في بلده مكة المكرمة فهاجر منها إلى بلدة يثرب والتي سميت فيما بعد بالمدينة المنورة وهي شمال مكة بمسافة ٤٠٠ كيلو متر وفي العام الثالث من هذه الهجرة ذهب وفد رفيع المستوى من قساوسة وعلماء كنيسة نجران المسيحية وهي المدينة الواقعة جنوب مكة المكرمة بمئات الكيلومترات وقد استقبلهم رسول الله سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام استقبالاً

عظيماً وخصص لهم نصف المسجد النبوي لأجل إقامة صلاتهم فيه وقد أتعب وفد كنيسة نجران المسيحية نفسه وتحمل مصاعب السفر بالصحراء لأجل أن يسأل رسول الله سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام سؤالاً واحداً محدداً له عظيم الأهمية عند مسيحي العالم – ومنهم الألفا مليون مسيحي المعاصرين– وكان سؤالهم هو ماذا تقول يا محمد عن سيدنا المسيح عيسى المولود في معجزة كبيرة ونظراً لأن أحداث الإجابة على هذا السؤال هي بعد ستة قرون ونظراً لأن رسول الله سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام لا ينطق عن الهوى وأنما

ينطق بوحي الله سبحانه وتعالى الذي يوحيه إليه كما أوحى الله من قبل إلى جميع رسله المرسلين برسالات الله المرسلة إلى أقوامهم، والتي تحدد خط سير رسل الله المرسلين عليهم الصلاة والسلام، ولذلك التزم سيدنا محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام بالصمت حتى جاءت الإجابة على سؤال وفد كنيسة نجران الوفد المسيحي المهتم بشؤون المسيحية وكانت الإجابة من الله سبحانه وتعالى حيث أنزلها الله في كتابه القرآن والذي لم يكن قد أكتمل نزوله وهي الإجابة الحاسمة التي يحتاج إليها أهل المسيحية وفيهم الألفي مليون مسيحي حول

العالم حيث كانت الإجابة في صفحة محددة في القرآن الكريم كتاب الله الذي أنزله الله سبحانه وتعالى كما أنزل من قبله كتاب الله التوراة على سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام رسول الله وفيه الهدى والنور وكما أنزل الله كتاب الله الإنجيل على سيدنا المسيح عيسى رسول الله المرسل إلى بني إسرائيل عليه الصلاة والسلام وفي هذا الإنجيل كتاب الله الهدى والنور وهو الإنجيل المفقود وهو المستند الأصلي الذي أنزله الله حيث أن ضياع هذا الإنجيل هو أعظم مصيبة حدثت للمسيحيين وهي المصيبة التي ألحقت بالمسيحيين أشد

الأضرار على مر العصور، فقد كانت الإجابة عن سؤال وفد كنيسة نجران في سوره آل عمران وفيه الآية رقم ٥٩ الباقية إلى يوم القيامة وتقول ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّـهِ كَمَثَلِ آدَمَ ۖ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾- حيث أن الله شرح شرحاً تفصيلياً أنه هو صاحب أول معجزة حيث خلق سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام من غير والدة تحمله وتلده ومن غير والد له أي انعدام علوم الطب والوراثة وأنه الله صاحب المعجزات قد كرر نفس المعجزة الأولى في خلق الله لسيدنا المسيح عيسى عليه الصلاة والسلام حيث ولدته السيدة مريم

ولكن من غير والد له، وما من شك في أن هذا التوضيح من الله صاحب معجزة خلق سيدنا آدم منذ آلاف السنين من غير والدة تلده ومن غير والد له فهو الله نفسه صاحب المعجزة المكررة بعد آلاف السنين في ميلاد سيدنا المسيح عيسى عليه السلام من والدته السيدة مريم عليها السلام ولكن من غير والد له، فإن هذا التوضيح هو المقبول لأنه حكم الله وتوضيح الله.

وحيث أن الله سبحانه وتعالى لا يريد ضياع إيمان المؤمنين، وحيث أن الله وعد وعداً بأن يوضح لأهل المسيحية بعضاً مما هم فيه مختلفون وحيث أن الله يريد

إكرام وفد علماء وقساوسة كنيسة نجران المسيحية الذين سافروا الـ ١٣٠٠ كيلو متر عبر الصحراء من أقصى جنوب الجزيرة العربية إلى أقصى الشمال حيث مقر إقامة رسول الله سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام بالمدينة المنورة. وما بذلوه من مصاعب السفر لأجل معرفة حقيقة رسول الله سيدنا المسيح عيسى عليه الصلاة والسلام الذي يؤكد في التاريخ المسيحي أن الله لم يرسله إلا إلى بني إسرائيل فإن إكرام الله لهذا الوفد المسيحي من القساوسة ومن العلماء قد وصل إلى أعلى

درجات الإكرام من الله وأعلى درجات الحرص على وصول الحقيقة لجميع أهل المسيحية بشهادة الشهود.

لهذه الأسباب ولمقاصد أخرى لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى فقد أنزل الله تعالى من أجلهم وبسببهم الآية بعد التالية ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّـهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ يعلن الله فيها أنه إذا لم يكن عندهم الاقتناع والقبول بأن سيدنا المسيح عيسى هو مثل سيدنا آدم فإن الله عرض على هذا الوفد عرضاً بأن

يكون الله هو صاحب التحكيم بينهم وهم وفد أهل المسيحية وبين رسول الله سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وهو أن يقف الطرفان المسيحي في جانب جميعاً مع بعضهم ويقف رسول الله سيدنا محمد وأهله في جانب، ثم يطلبون من الله أن يحكم بينهم بأن يجعل الله غضبه ولعنته على الكاذب.

وما كان هذا التحكيم الفوري من الله إلا لحسم الخلاف حول معجزة خلق الله لسيدنا المسيح من غير والد له، كما خلق الله تعالى سيدنا آدم من غير والد ومن غير والدة، ولكن انسحب وفد قساوسة وعلماء كنيسة

نجران ورفضوا التحكيم من الله تحكيماً فورياً مباشراً، وهو ما ألحق بالمسيحية أشد الأضرار عمداً مع سبق الإصرار، ولذلك قال عنهم ووصفهم الله أنهم إذا رفضوا هذا العرض بالتحكيم فإن الله عليم بالمفسدين خاصة أنهم على علم تام باللغة العربية لغة القرآن ولغة سيدنا محمد رسول الله، وكما نعلم فإن الله سبحانه وتعالى لم يرسل رسول إلى قوم إلا بلغتهم حتى يبين لهم الحق وهذه سنة الله في لغة رسل الله المرسلين.

ولقد استمر عرض الله بالتحكيم طيلة فترة حياة رسول الله سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام والذي

توفاه الله في العام الحادي عشر من الهجرة وهي فترة تصل إلى ٣٠٠٠ يوم ولم يتقدم مسيحي واحد من علماء أهل المسيحية أو من غير العلماء للوقوف بجوار سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والتوجه إلى الله سبحانه وتعالى بأن يحكم الله الذي عرض هذا التحكيم بأن يجعل الله غضبه ولعنته على الكاذب ولكن لم يتقدم مسيحي واحد من ملايين المسيحيين، وهذا دليل على قبول الحقيقة التي أعلنها الله وهي أن سيدنا المسيح عيسى عليه الصلاة والسلام هو مثل سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام وأن سيدنا محمد رسول الله عليه

الصلاة والسلام هو الصادق في أن سيدنا المسيح عيسى عليه الصلاة والسلام هو مثل سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام خلقهما الله تحت قوة أمره الذي إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون، مما ينتج عنه نتيجة جوهرية وهي أن سيدنا المسيح عيسى رسول الله وعبد الله إنما هو رسول مثل جميع رسل الله المرسلين، وهو في أعلى الدرجات التي يتمتع بها رسل الله المرسلين لم ينقص منه شيئ، وكانت دعوتهم جميعاً دعوة واحدة وهي الإيمان أنه لا إله إلا الله وأنه من يؤمن بالله الواحد الأحد فإن

الله يهدي قلبه وتستقر نفسه لأنه يعبد الله الذي لا إله إلا هو.

وعلى الرغم من أن الله سبحانه وتعالى غني عن الذين كفروا مثل الذين أغرقهم الله من قوم نوح إلا أن الله سبحانه وتعالى برحمته يؤكد أنه لا يرضى لعباده الكفر كما قال في سورة الزمر الآية ٧:

﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّـهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ﴾.

والسلام عليكم ورحمة الله.